المحاضرة الثانية

اللغة العربية

في القرن الحادي والعشرين، في المؤسسات التعليمية في المملكة العربية السعودية، الواقع والتحديات واستشراف المستقبل

الأستاذ الدكتور مرزوق بن صنيتان بن تنباك
قسم اللغة العربية– جامعة الملك سعود
المملكة العربية السعودية

الثلاثاء 8 ربيع الآخر 1426هـ 17 أيار 2005م

الأول: اللغة وموقف بعض أهلها منها:

اللغة العربية الفصحى كما هو واقعها لغة نموذج، متميز بين اللغات القديمة ذات الرسالات الدينية والحضارية، وهي لغة نموذج متميزة أيضاً بين اللغات الحديثة التي تعيش على أمل الانتشار الواسع في المستقبل، وهي لغة الوحدة والانتماء الواضح الذي تنشده كل أمة تعتز بلغتها وذاتها وتمد حاضرها على مساحة الأرض التي تعيش عليها شعوبها وسكانها.

إلا أنَّ طبيعة اللُّغة – أي لغة– وطبيعة الحياة توجب استمرار الرعاية الدائمة والمتابعة المستمرة حتى لا تتجاوز الأشياء طبيعتها وألا تترك الأحداث على سجيتها. واللغة كائن حي متطور يحتاج إلى توجيه في نموه وتطوره ليوافق السياق الذي ينسجم مع أصله ويعتمد على قاعدته، فهي كالشجرة الوارفة التي تنتشر أغصانها وتتهدَّل حولها وتتسع بجانبها، وإذا لم تقطع هذه الأغصان وتُشذَّب شجرة اللغة تحوَّلت أغصانها إلى أحراش ونباتات ضعيفة تعيش في كنف الشجرة الوارفة وتمص الماء الذي ينساق في أصلها وتحرمها الظل والشمس، فيضعف قوامها كلَّما قويت الأعشاب المحيطة بها وامتدت فروعها بعيداً عن أصلها وتشعبت اتجاهاتها وانحرفت عن نسق الشجرة الأصل وسموها.

وتلك أقرب صفة تمثِّل حال الفصحى والعامية أصدق تمثل. لأنَّ اللَّهجات العامية تبدأ بجانب اللغة الأم وتعيش معها وفي كنفها ثم تأخذ بالانحراف عنها والإحاطة بها والانتشار حولها ثم تحول دون سهولة الوصول إليها، فيصعب على

الأقدام الضعيفة التجاوز، فتقف في مطامن الأحراش ويظن العاجزون والمتعلِّلون بالأسباب أن هذا يغني عن برد الدوحة الباسقة والشجرة الظليلة. وقد تقوم تلك الأحراش مكانها إلا إذا وجدت من يتنبَّه لها ويميز بين الأصل والفرع، فيقوِّمُ اعوجاج الأغصان المتهدلة والمنحرفة.

واللغة العربية الفصحى تعيش اليوم في خضمٍّ متلاطمٍ من أحراش العامية وتخوض حرب البقاء المشروع على الرغم مما تواجه من صور التحدي، ولاسيما عندما يتشبَّع الناس بالثقافة العامية ويعيشونها ويعجبون بها، ويجد الكثير من أبناء العربية العامية مُيسرة سهلة لديه، فيميل إليها ويستعملها ويتفاعل معها ويظن أنه يستطيع أن يستغني بها عن الفصحى، فيعيش حالة من الانفصام الثقافي ويعيش حالة من الازدواج اللغوي. ويخدع نفسه أحياناً بشيء من التبرير لاستعمال العامية بدل الفصحى، وقد تكون لمبرراته أسباب كثيرة بعضها خارج عن مدى تصوره وإدراكه لوظيفة اللغة الفصحى التي يجب أن تقوم بها ، وضرورة العامية التي يستعملها. كما أن بيان وظيفة كل منهما يخفى في بعض الأحيان على الخاصة من الناس فما بالك بأمر العامة الذين لا يعرفون في حياتهم أقرب من العام يٍّ وأسهل منها. إن الحاضر يشهد خللاً بيِّناً في فهمنا لوظيفة اللغة الفصحى وفي فهمنا لاستعمال ضرورات العامية، ولا نميز الخطر الذي يواجه الأمة العربية عندما تستنيم إلى سهولة العامية وتتجافى عن الفصحى. وقد انتقل الحال في الوقت الحاضر من استعمال العامية الصامت إلى الطرح لها على ساحة الواقع الاجتماعي، وبدأت أقلام وآراء تطالب بإعطاء العامية مساحة للحضور والظهور ومشاركة الفصحى حقها، واستعمل في هذا

الطرح وسائل التثقيف العامة ومصادر المعرفة المشتركة، ونزلت العامية بقوة إلى ميدان الفصحى حتى بلغ الأمر حد الخطر الذي نخشاه على مكتسباتنا الدينية والقومية والاقتصادية والتربوية وعلى لغتنا بعد ذلك وعلى وحدتنا وذاتنا وكياننا.

وبنظرة سريعة واستعراض موجز للآراء التي تسوِّغ استعمال العامية وتدعو إليها نجد أننا أمام توجه عارم إلى العامية وإلى أدبها وشعرها ولغتها، وأن أصحاب هذا التوجه يتوزَّعون على كلِّ الأقطار العربية من الخليج إلى المحيط ويقومون بعمل منظِّم تؤيده بعض وسائل الإعلام وتنشره للناس. وقد اختلفت آراء أصحاب التوجه العامي، فأشدها تطرفاً من يدعو إلى إطلاق رصاص الرحمة على جسد اللغة العربية الفصحى– كما يقول – كي تستريح وتريح، ويدعو لأن تحل اللغات العامية محلها، ويصفها بأنها أصل معطوب وأنها قد انقطعت عن الحياة وانقطعت الحياة عنه (١) .

ومنهم من يرى أن تُطعَّم الفصحى بالعامية وتُخلط معها، ويصف الفصحى بأنها عُزلت عن معظم مجالات الحياة قروناً طويلة حتى قلَّت طواعيتها للتعبير الحي الدقيق. وخير وسيلة لمدها بروح الحياة – كما يرى – تطعيمها بإيقاعات اللهجات العامية (٢). وثالث يرى أن علينا أن نخاطب الشعب بلغته أيضاً لأن الفصحى –في رأيه – عاجزة عن هذا الدور، ويرى أن تكون الفصحى لغة المنظومة التربوية للتعليم الأكاديمي وهي صالحة لذلك، أما أن تكون لغة الفنون والتعبير عن مشاعر الشعب

---

1. السياسة الكويتية، العدد 6669 في 1407/7/2هـ– الموافق 1987/2م.
2. نظرية التطعيم الإيقاعي في الفصحى.

وقضاياه فيعتقد أنها غير قادرة على ذلك، وسيكون للأدب العامي في رأيه – مستقبل زاهر بكل تأكيد[١] .

وفي وسط البلاد العربية نجد صوتاً آخر يلحُّ على إقليمية حادة، ويقول عندما سُئل عن العامية والفصحى : " أرى أن المصريين اكتسبوا مساحات كبيرة بفضل صلاح جاهين وعبد الرحمن الأبنودي، وفؤاد حداد وغيرهم وأصبح هناك تجاوب بين الفصحى والعامية. ولم تعد الأخيرة مدعاة للزراية فقد أثبت هؤلاء أن من الممكن معالجة كافة الموضوعات بها " . ثم يتناول قضية الأدب فيقول: " لا أعرف كيف نلفق نوعاً من الأدب ليعبر عن جميع الدول العربية، لذلك لا أعتقد أنه من الممكن أن يكون هناك أدب يعبر عن الوطن من المحيط إلى الخليج[٢] .

ويأتي صوت من المغرب العربي فيقول : " إن العربية باتت مشكلة كل العرب، حتى عرب مائة بالمائة ما زالت العربية تتعثر عندهم وما زالت لا تتعدى لغة القراءة والكتابة. العربية لم تصل بعد إلى لغة العمل ،أصابها أهلها بالقصور لأنهم– وأقول بمرارة – أهل قصر وعجز ، ألا نستحي ونحن نطوي الصفحات الأخيرة من القرن العشرين ولا معجم لنا يساير العصر؟! لذلك لا غرابة أن يتجه البعض إلى الدارجة أو العامية للتعبير لأنها "لغة" حيَّة بحكم سعة التعامل بها ولتغلغلها في عامة

---

1. كاتب سياسي، من الجزائر.
2. لويس عوض، جريدة السياسة الكويتية، العدد 6757 في 1407/10/4 الموافق 1987/5/31

الناس تخاطباً وعملاً، أما اللغة البربرية التي هي فصيلة العربية فأنا معها كوسيلة للتعبير بشرط أن تكتب بالحرف العربي حتى تبقى مربوطة إلى لغة الإسلام "[1] .

هذا المتحدث بهذا الأسلوب الركيك، فكرة ومضموناً، هو محمد العروسي المطوي الأمين العام لاتحاد الكتاب والشعراء العرب على ذمة "ثقافة اليوم " في جريدة الرياض ". هذه أقوال لبعض الكتاب الداعين إلى العامية المبغضين للفصحى أتيت بها واخترتها لأنها تمثل رأياً يتوزع توزيعاً جغرافياً مناسباً، فأخذنا من أقصى الشرق العربي كاتباً من الكويت ومن أقصى المغرب العربي الجزائر آخر، وما بين هذين الطرفين من البلاد العربية أخذنا رأي كتاب آخرين من المشهورين والمعروفين في كل البلاد العربية يقرؤهم العرب كافة وآراؤهم منشورة في وسائل الإعلام العامة المتاحة لكل القراء العرب، وهم كما يتضح من أقوالهم يدعون دعوة صريحة إلى تقويض أركان اللغة العربية الفصحى ودعوة مكشوفة إلى إحلال العامية محلها، وما هذه الأقوال إلا نماذج مختارة من أقوال كثيرة ومكررة لعدد من الكتاب الذين يعيشون في المحيط العربي ويتكلمون العربية الفصحى ويكتبون بها ويقفون منها هذا الموقف الذي يعد عدواناً على مبدأ استعمال اللغة، بله الحديث عن حقيقتها ووظيفتها، وفي الوقت نفسه يشيدون بالعامية ويخلعون عليها ما ليس فيها ويمجدونها وكأنها قد خلقت الناس خلقاً آخر. وإذا كانت آراء هؤلاء وغيرهم ممن لم نذكر يتبين فيها البعد عن الحقيقة ويتبين فيها الموقف الجلي من اللغة وموروثها الحضاري قبل الموقف من وظيفة اللغة كعامل اتصال بشري، فإن ما يخفف هذه القسوة التي يوجهونها إلى صميم اللغة ويخفف هذه

---

1. جريدة الرياض، العدد 8620 في 1412/7/26هـ.

السهام الحادة التي يطلقونها على جسدها هو معرفتنا بصلة هؤلاء باللغة وصلتهم بموروثها الديني والحضاري. فالعربية الفصحى يحافظ عليها من يحترمها، إما لأنها لغة الإسلام، وإما لأنها لغة العرب ولغة الوحدة الشاملة فبعض من ذكرنا آراءهم لا يؤمنون بالإسلام ولا يريدون بقاءه ولا المحافظة عليه. وهي لغة انتماء عربي أصيل وليس لبعض من نقلنا آراءهم ضد العربية الفصحى صلة نسب عربية وانتماؤهم ونسبهم إلى غير ذلك. وهي لغة وحدة شاملة للعرب والمسلمين، وما قاتل أكثر من وردت آراؤهم منذ نعومة أظفارهم حتى بلغوا سن الشيخوخة إلا من أجل فصم عُرى من الوحدة وتشتيت الأمة العربية إلى قوميَّاتٍ وإقليميات وتشرذمٍ واختلافٍ حتى لا تقوى به على أحد ولا تعتز به في أي موطن. وإذا تجرَّدنا من كل عاطفة فيجب أن نقدر جهودهم لأنها تصب في مصالحهم وتدافع عن ذاتهم وتعمل من أجل فئاتهم التي ينتمون إليها ولا غرابة. ومن مصلحتهم أيضاً أن تموت الفصحى وتعيش العاميات. وإذا أرادوا أن يهدموا السور العظيم الذي خلطهم وجمعهم مع قوم يفوقونهم عدة ويكثرونهم عدداً فهم يسعون لمصلحتهم وقد لا يرى بعضنا غرابة في الأمر، ولكن الغرابة فيه أن يتجرأ كُتَّاب في محيط عربي فيوجِّهوا إلى العربية هذا النقد اللاذع ويخاطبوا العرب والمسلمين بأهوائهم وآرائهم وأن يجدوا من يستمع إليهم ويتلذذ بسماع شتائمهم ويصفق لصفعاتهم التي توجَّه إلى العرب قبل أن توجَّه إلى اللغة، مما شجع هؤلاء على نشر ما يتمنون وما يسعون إليه على قراء العربية وأهلها، وينفثون أفكارهم بهدوء ويطرحونها على هذه الأمة التي احتضنتهم ورعتهم وأحسنت إليهم فيردون على الإحسان بالإساءة، والأسوأ من ذلك أن يتعلَّق بعض أبناء اللغة العربية الصرحاء

وأبناء الحضارة الإسلامية المخلصين بتلك الأفكار ويتلقونها ببراءة الأطفال ويردِّدون ما يمطرهم به أصحاب الأغراض من الداخل من سهام فكرية، فيساعدونهم بشن حرب العامية على الفصحى متذرعين بالإقليمية مرة وبالشعبية أخرى، وبمخاطبة العامة تارة، وبتعميم الفصحى وتفصيح العامية تارة أخرى. وكل ما يدعون إليه وينادون به يصب في إناء الموتورين الذين يعلنون على الملأ بغضهم للعرب وللدين وللعروبة، ويصرحون فيما يكتبون بأن العرب والعربية طارئون عليهم غالبون لهم وهم أهل البلاد الأصليين وأهل الحق في التخلص من هذا الطارئ الدخيل.

ولمن لا يصدِّق ما أقول أسوق النص الآتي حرفياً الذي نشره كاتبه مفتتحاً به مجلة "ابن عروس" الصادرة من القاهرة، إذ يقول : "إن اللغة العربية الفصحى لغة وافدة إلى بلاد كانت تتكلم لغة أخرى على امتداد زمن يقاس بآلاف السنين ... والذين تعلَّموا الفصحى مهما بلغت تجلياتهم الإبداعية من ذروات فإن القيمة الجدلية لإبداعهم تظل محدودة جداً حسب ضيق رقعة القراء إن الإبداع الذي حملته الفصحى إنما هو إبداع فئة أو طائفة من المثقفين أما الإبداع في العامية فإنه إبداع شعب كامل... إن المواطن يمارس حياته بالعامية. بل يأكل ويشرب ويحلم ويتوجع ويتأوه بها، أي إنها حاملة لكل همومه وطموحاته وأحلامه وهي العامية الأقدر والأبلغ في التعبير عنها وعنه " [1] . هذه المجلة التي تفتتح عددها الأول بهذا النص الذي يصف الفصحى بمصر بأنها وافدة، وأن أهل العربية في مصر قلة من القراء، وأن الإبداع بالفصحى إبداع فئة وطائفة والإبداع بالعامية إبداع شعب كامل، هذه المجلة حتى وإن

---

1 . جريدة المدينة، الأربعاء الأسبوعي في 1412/9/24هـ الموافق 1993./3/17

كانت تمارس الهراء فيما تقول، فإنها لم تصدر عن مؤسسة خاصة ولم يتول إصدارها ممولُ أجنبي أو مال شخصي، وإلا لقلنا إنها تعبر عن رأي الممول والناشر والكاتب، لكنها تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب بالتعاون مع المركز المصري العربي للنشر، وتمول من المال العام للعرب والمسلمين في مصر. ولكن ليت الهيئة المصرية للكتاب والمركز العربي للنشر قر أا قبل أن يصدقا أن اللغة العربية وافدة من ألف وخمسمئة عام إلى مصر جملةً كتبها المرحوم يح يى حقي الذي وفد أبوه إلى مصر من تركيا قبل مئة عام، حين قال :"خذوا بالكم أنا صحيح من أصل تركي لكن هذه البلدة التي تسمى مصر لها قدرة غريبة على الامتصاص والاستيعاب وأكل كل أجنبي عنها بحيث لا يستطيع الفكاك منها، ففيها سر من الله لا نعرفه. لذلك لو عصروني في معصرة قصب لن تخرج مني نقطة تركية فأنا مصري مائة في المائة بل أكثر من المصريين مصرية لأنني شديد الإحساس بكل ما يتعلق بمصر سواء من تاريخ أو عادات "[1]. وليتهم نظروا في تاريخ اللغات فلن يجدوا في مصر ولا في العالم كله لغة حية أطول تاريخياً من اللغة العربية في مصر، فعمرها فيه ألف وأربعمئة عام بالضبط وعمر أطول لغات أوروبا الحديثة تاريخياً في أوروبا لا يزيد على خمسمئة عام.

ولم نسمع أحداً زعم أن اللغة الفرنسية وافدة إلى جزء من أور وبا فأصبحت فرنسا، ولا أن اللغة الإنجليزية وافدة إلى الجزيرة البريطانية، ولا الإيطالية ولا الإسبانية والألمانية والبرتغالية وافدة إلى مناطق من أوروبا لم تكن لها قبل خمسمئة عام. بل لم نسمع الأمريكان الذين حاربوا الإنجليز وأخرجوهم من أمريكا استغنوا عن اللغة

---

1. جريدة الرياض، العدد 8935 في 1412/6/16 هـ الموافق 1992/12/10م.

الإنجليزية وأخرجوها مع أهلها، ولم نسمع أحداً في أمريكا الجنوبية يزعم أن لغات أمريكا الجنوبية وافدة من شبه القارة الأوروبية وعمر هذه اللغات في أمريكا الجنوبية لا يزيد على مئتي عام. ولم يبحث علماء اللغات ومؤرخوها عن جذورها البعيدة كما يبحث ناشرو مجلة " ابن عروس " متى وفدت العربية إلى مصر. ومن هم لا أمَّ لهم حتى يصنِّفوا الوافد والمقيم في أرض الكنانة ؟ فمصر صهرت اللغة وأهل اللغة وامتصتها بتربتها الطيبة وتشربت بها ولو عصرت كل ذرة من تراب مصر ما وجدت إلا العربية والعرب.

إن هؤلاء القوم عندما يمجِّدون العامية لا يمجِّدونها حبّاً لها أو قناعة بأهميتها ووظيفتها التي يزعمون أنها تقوم بها لكنهم يتوسلون بهذا التمجيد لما يريدون الوصول إليه وهو زحزحة الفصحى عن طريق أهدافهم التي يأتي في مقدمتها خلخلة وحدة الأمة العربية، وبلبلة الانتماء الثقافي وخلط الأوراق وطرح خيارات بديلة، منها العاميات العربية ومنها لغات الأقليات الموجودة ولهجاتها وليس ما نقول تخميناً أو استقراء ولكنه رأيهم المعلن في الصحافة والإذاعة، فأحد هؤلاء الكتاب الذين ذكرناهم آنفاً يصرح في فرنسا : "إن العدو الأول للبربرية في الجزائر هو الإسلام ومن ثم يجب القضاء عليه، وإذا كان أجدادنا البربر قد انهزموا أمام الفتوحات الإسلامية في القرن السابع الميلادي فمن واجبنا اليوم أن نثأر لأجدادنا ونحن أقوى وأفضل حالاً منهم قبل أربعة عشر قرناً[1] .

أولاً : إن هذا الرأي لا يقره ولا يوافق عليه أغلب المسلمين البربر الذين يشهد لهم التاريخ الحديث والقديم بمواقفهم المشرفة من الإسلام والوحدة العربية، وهم الذين

---

1. جريدة الشرق الأوسط العدد 4273، في 1411/1/19هـ- الموافق 1993/8/10.

رفضوا الظهير الفرنسي أثناء الاحتلال والاستعمار وردوا عليه الرد المعروف، وهم الذين يتمسكون حتى هذه اللحظة بالإسلام ولغته ووحدتهم مع إخوانهم العرب. ولا يجوز لفرد، حدث أن أصله بربري، التحدُّث باسم الشعب العربي والبربري المسلم والأولى به أن يعبر عن رأيه الشخصي في اللغة ورأيه في الإسلام وهو رأي لا يمثل غيره ولا ينسحب على سواه من الشعب المغربي كله.

ثم إن هذا الثأر الذي صرَّح به واحد من دعاة العامية هو الهدف الذي يسعى إليه كل دعاة العامية في الوطن العربي شرقه وغربه من كان منهم من العرب ومن ليس منهم وهو الدافع الذي حبب إليهم العاميات واللهجات، وجعل العقلاء منهم يلتمسونها – أي العاميات وسيلة لأخذ الثأر والانتقام. ولن نخاطب الموتور الثائر الذي مضى على ثأره ألف وخمسمئة عام – كما يقول ولكننا نوجِّه الخطاب للذين يطلب الثأر من دمائهم ،وهم يقفون في صفوف الثائرين ويرفعون سلاح الثورة ليفتك في أجسادهم ويسفك دماءهم قبل غيرهم. ونقول لهم : هذه أمامكم أقوال من تتبعونهم وتدعون بدعوتهم أوضحناها لكم ونصصنا عليها بين أيديكم وأعطيناكم خلاصة فكرهم وسبب دعوتهم للعامية وتفضيلهم إياها، وبألسنتهم ندينهم، ولم نتجنَّ على أحد منهم ولم نقل ظَّناً أو تخميناً. أمَّا أن يكون لدينا عامية وفصحى فلا خلاف في ذلك، وفي كل لغة من اللغات توجد ثنائية الفصحى والعامية، توجد الفصحى وتمتد امتداد الدولة أو الشعب الذي يتكلَّم اللغة العربية، وتوجد العاميات خطوطاً متقاطعة في مناطق محدودة وفي مساحات ممتدة، ولكن العاميات لا تشكل لوناً خاصاً بها وإنما الشكل الظاهر للفصحى. أمَّا العاميَّات فلحمة خفية وتلك مسلمة لا أظن أحداً ينكرها ،

وإنما المنكر أن يجعل وضع اللغة العربية الفصحى وصلتها بعاميتها وضعاً مختلفاً عن كل فصحى وعامية في العالم، وكأنه لا توجد لغة فصحى وعامية إلا في الوطن العربي وفي العربية.

الثاني: تحديات الأعداء:

اهتمَّ أعداء اللغة العربية بها وقالوا في مؤتمرهم الذي عقدوه في العام الماضي2004م بشأنها : " نحن قادة مجموعة الثمان ي ندرك أن السلام والتطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي في بلاد الشرق الأوسط الكبير يمثل تحديات تهمنا ومما يهمهم من أمر لغتنا وأمرنا ما جاء في تقريرهم تحت عنوان " تحديث اللغة العربية "[1] :

1. إن عدم تطوير اللغة العربية وعدم تحررها من أشكالها القديمة التي ظلت عليها منذ قرون ، خاصة أنَّ ذلك أدَّى فعليّاً إلى صعوبة كبرى في استيعاب أهل الحضارات والأديان الأخرى لهذه اللغة أو تعلمها أو الاقتراب فكرياً ممن يتحدث بها.

2. إن الإرهابيين الذين يتحدثون اللغة العربية وتتم ترجمة كلماتهم إلى الإنجليزية أو الفرنسية لا نعرف شعورهم الحقيقي أو الدوافع الكامنة وراء ارتكابهم لهذه الأحداث ، لأن الترجمة العربية إلى اللغات الأخرى يبدو أنها تواجه مشاكل حقيقية نحن غير قادرين على تصنيفها وتبيان أسبابها الحقيقية.

---

1. مجلة الهلال المصرية العدد 152 ذو الحجة 1425هـ فبراير 2005.

3. إن العلوم الدولية لا تستطيع أن تعتمد هذه اللغة بسبب تعقد رموزها وصعوبة أشكالها في الوقت الذي يستطيع أهل اللغة العربية ومتحدثوها إتقان اللغات المشتقة من اللغة اللاتينية مثل الإنجليزية والفرنسية.

4. العرب يتحدثون اللغات الأوروبية مثل أهلها تماماً مما يؤكد سهولة أشكال وحروف اللاتينية وقدرتها على التأقلم والتطوير تحت أي ظرف.

5. ندرك أن هناك لغة مشتركة يمكن أن تجمع كل سكان الكرة الأرضية فيما عدا الذين يتحدثون باللغة العربية وهو مما يجعل من الصعب بنا التواصل معهم أو معرفة دوافعهم النفسية.

6. إن صعوبة التقاء اللغة العربية مع اللغة الإنجليزية كانت الدافع الرئيسي وراء موجة الكره العربي لأمريكا وإسرائيل والشعور بالبغض والانتقام من الذين يتحدثون الإنجليزية والفرنسية.

في ضوء هذه النقاط التي حملها تقرير الدول الثمان ي العام المنصرم نستطيع معرفة المشكلات التي تواجه اللغة العربية.

الثالث : اللغة الفصحى:

العامية

نعلم أنه منذ بدأت حركة التنوير – كما يقول المؤرخون للنهضة الحديثة في البلاد العربية– واللغة الفصحى ذاتها ومكانتها ومناهج تعلمها وواقعها في بلادها موضع للنظر،

ومجال للشكوى من غربة اللسان العربي الفصيح وضعفه، مع ماله من مكانة تاريخية وماضٍ مجيد، وقدرة حية صالحة لكل زمان ومكان، وقد تكررت الشكوى شعراً ونثراً، ومن ذلك قول الأستاذ سليمان التاجي الفاروقي (١) .

العرب لا شقيت في عهدك العرب سيوف ملكك والأقلام والكتب

وكل خير أتى فالعرب مصدره بل أي فضل أتى لم تحوه العرب

لسانهم أَخلق الإهمال جدته فبات ينعى على الكُتَّاب ما كتبوا

تمشَّت اللهجة العجماء فيه إلى أنْ أنكرته بنوة الخلص النجب

ولم تنقطع الشكوى منذ ذلك الحين حيث توالت الصيحات التي تنذر بالخطر وتنادي بالمحافظة على سلامة اللغة العربية الفصحى، وتنقيتها من اللحن، وتحاول البعد بها عن مهاوي العامية واللّكنة التي تضعف سلامة القول وتفسد الذوق، وتجني عليها وعلى أهلها ويلات العجمة وطلسمات اللهجات واللغيات المبعثرة ،وتجور في حق اللغة العربية الفصحى، كما قال الشاعر فؤاد الخطيب محذراً مما يواجه الأمة في لسان دينها ومصدر ثقافتها وموئل منعتها وعزتها[٢] .

جاروا على لغة القرآن فانصدعت له القلوب وضجَّ البيت والحرم

فالقدس باكية والشَّام شاكية وفي الحجاز يكاد الرّكن ينحطم

1. من حاضر اللغة العربية، ص44.
2. من حاضر اللغة العربية، ص49.

والشرق يضؤل والأهواء تحزبه فليت شعري أعربٌ فيه أم عجم

كل ذلك كان في بدء النهضة العربية الحديثة. وفي أول الاتجاه الكلي إلى التعليم الشامل، ونشر المدارس العصرية في الوطن العربي، وكان الأمل هو أنَّ انتشار التعليم سيقضي على مصادر الضَّعف والأمية والجهل المزمن في بلاد العرب فتنتهي أسباب الشكوى وتقوى العربية الفصحى وتستعيد ماضيها الخالد بحاضرها الزاهر الذي يرجوه المحبون لها، وأن كل مدرسة تفتح ستصبح إشعاعاً للعربية الفصحى، وأنَّ كل جيل يتخرج سيصبح أقوى من سابقه وأقدر على الإمساك بزمام العربية الفصحى وقيادة ناصية البيان الرائع في لغته الخالدة. وقد انتشر التعليم في عرض البلاد العربية وطولها والتحقت به أجيال متتابعة من أبناء العرب، وتخرج من المدارس والجامعات مئات الآلاف من حملة الشهادات الجامعية وما دون ذلك من أنواع التأهيل العلمي. ولكن اللغة العربية الفصحى لا زالت موضع نظر ومحط سؤال ومصدر خوف وترقب، وكلما كثر الدارسون في المدارس والجامعات وكثر المتخرجون منها زاد الخوف من ضعف صلة هذه الأفواج من الخريجين بلغتها وبثقافتها وزاد الوجل والترقب من قدرة الأعداد الكبيرة والكثيرة التي تخرجها الجامعات والمعاهد ومؤسسات التعليم الشامل على فهم اللغة وممارستها الصحيحة للسان العربي المبين.

وأصبحت أغلب الأفواج التي تحمل شهادات التخرج لا تقيم لسانها الفصيح ولغتها الأصلية، وأحياناً تتنكب عنها وتنبذها وراءها ظهرياً. ومن دوافع الغيرة على مستقبلنا المعرفي ومستقبل أجيالنا برز أكثر من سؤال وقامت أكثر من علامة استفهام تشير إلى ما آل إليه تدريس اللغة العربية الفصحى من ضعف. وتتابعت الندوات والمؤتمرات في أكثر من مكان وزمان، تناقش ظاهرة الضعف الذي يعتري قدرات أبناء العربية في فهم لغتهم. وقدمت دراسات كثيرة عن هذه الظاهرة الشاملة، وقد حاول كل

مجتهد أن يطرح رأياً أو أكثر من رأي لعله يجد سبباً أو يهتدي إلى علاج ناجح. ولم تغفل الدراسات الكثيرة حال مدرسي اللغة وقدرتهم في تقريب اللغة إلى الطلاب أو العكس من ذلك.

وهنا لا بد من العودة إلى اللغة العربية التي تعيش اليوم واقعاً معزولاً عن وظيفتها، ذلك الو اقع الذي يشبه واقع العرب والمسلمين الذي يعيشونه في سنواتهم الأخيرة وتمر بظروف مؤثرة فيها وتجتاز عقبات وعثرات كثيرة لا أظنها مرت بمثلها من قبل وتواجه مشكلات تعد من أخطر المشكلات التي تواجه المربين والمعلمين والمسؤولين عن تنشئة الأجيال. فقد كانت اللغة الفصحى ولا تزال وعاء للتراث العربي الإسلامي بمختلف موضوعاته من دين وثقافة وتاريخ وغير ذلك، فحفظت ماضي الأمة العربية والإسلامية كله، وعنها وفيها تلقينا الموروث الحضاري للعرب والمسلمين، وفي مقدمة ذلك تعاليم ديننا وتراثنا، على الرغم من أنها أمضت قروناً كثيرة وهي تقاوم مقاومة ذاتية تيار الأمية الجارف ،وانطلاق عنان العامية في مجالات الحياة كلها – الخاصة والعامة – ومع ذلك بقيت الحصن الحصين والخيار الذي لا بديل له ولا تفكير في سواه. وكان من لوازم الضعف والتخلف اللذين أصابا ثقافة الأمة وأثَّرا فيها وفي لغتها أن نضجت روافد المعرفة المتجددة وتجمدت حركة التعليم، فبقي الكتاب الخالد القرآن الكريم هو مشعل التنوير الصامد يقرؤه العرب والمسلمون فتنطلق أقلامهم تحاكي رسمه وتنطق بلغته وتلتزم أسلوبه وتحاول التمسك بنصوصه حتى تحفظ منه ما يزيل طوق الأمية الذي يحيط بها، وبكل منشط من مناشط حياتها أما اليوم فإن الأمر بالنسبة للعرب والعربية مختلف كل الاختلاف،

فليست الشكوى من أمية الإنسان العربي ولا جهله أو حرمانه من معرفة الكتابة والقراءة كما كان ذلك حاله من قبل النهضة الحديثة وثورة التعليم. ومع ذلك فقد مرت اللغة الفصحى بتحديات طارئة وأصبح وضعها مختلفاً عما كان قبل هذا العصر، وتتمثل التحديات في:

1- العاميات:

لقد استمر طغيان اللهجات العامية على اللسان العربي الفصيح والتفكير والثقافة الموروثة والمكتسبة على الرغم من كثرة المدارس والجامعات ووفرة خريجها ولهذا الحال أسباب عدة منها:

أولاً: مناهج التعليم الحديث الذي تسير عليه خطط الدراسات الحديثة وتطبق في ا لجامعات العربية وهي مناهج تأخذ من كل علم بطرف فيتخر >ج طلاب هذه الجامعات بنتفS قليلة من المعرفة وحظ<ا أقل من اللغة العربية التي تبعدها مناهج التعليم عن مجال التفاعل الحي مع الدراسة الجامعية المؤثرة في المعرفة، فابتعد الطلاب الجامعيون في تخصصاتهم عن أقسام اللغة العربية وكلياتها وبعدوا عن أي علاقة لهم بلسان قومهم ولغتهم ودرِّسوا موضوعات تخصصهم بلهجات عامية بعيدة عن الصواب أو بلغات أجنبية، فيتخرج هؤلاء من الجامعات ويمنحون الشهادات التي تقرر نجاحهم وهم أميون في اللغة العربية الفصحى وآدابها وثقافتها ولسانها.

ثانياً: أتت حاجة البلاد إلى انتشار التعليم العام، وفتحت المدارس التي ابتلعت أعداداً هائلة من المدرسين لسد الحاجة وتحقيق رغبة الدول العربية في تعميم

التعليم العام والتوسع الأفقي فيه فكان هؤلاء هم حملة الشهادات والمتخرجون من الجامعات أو من معاهد التأهيل ولا يوجد غيرهم مما اضطر المسؤولين عن التعليم إلى تعيينهم في وظائف التدريس وهم كما سلف شبه أميين في اللغة العربية وشبه أميين في الثقافة العامة، وفي هذه اعتمد على طاقم هائل من المدرسين أنصاف المثقفين وأشباه المتعلمين في تدريس اللغة العربية في كل المراحل مع أن حصيلتهم العلمية ضئيلة لا تساعدهم في تنمية مهاراتهم اللغوية أو مهارات طلابهم الذين يأخذون عنهم أسس المعرفة الأولية وأهمها فنون اللغة نحواً وصرفاً وإملاءً.

ثالثاً : الوسط الاجتماعي والبيئة وهذا عامل حاسم في علاقة الناس اليوم باللغة الفصحى وعلاقتهم باللهجات العامية في البلاد العربية، بلا استثناء، فالعامية منتشرة انتشاراً واسعاً، وقائمة على كل لسان ، يتحدث بها الخاصة قبل العامة والمتعلمون قبل غيرهم، ولا يعد أحد استعمال العامي اليوم في كل مجالات الحياة منكراً أو ممنوعاً، بل إن القاعدة العريضة من الناس، لا تجد حرجاً من الحديث بالعامية في كل المناسبات حتى في صالات الدرس. وقد ساعد استخدام العامية على انتشارها وسهولة دورانها على ألسنة الناس الأمر الذي خفف حدة الشعور الذي كان في السابق يقع في النفوس إذا استُعْمِلَتْ غير الفصحى، وأصبح الأمر شبه مقبول عندما يتحدث المتحدث بالعامية أو يخطب الخطيب بها أو يدرِّس بها المدرِّس. ولا شك أن استعمال العامية دون حرج يضعف ملكة اللسان ويحدُّ من انطلاقه إلى رحاب الثقافة العربية الخصبة ويقيِّده في المحيط العامي حتى يستمرئ الإنسان ذلك، ويقع في

ازدواج كبير بين العامية التي تأتي على لسانه طوعاً والفصحى التي يجب أن يستعملها في تعليمه وتدريسه، ويقع دون أن يشعر في التجزئة الممنوعة في اللغة.

فالنص الذي يدرسه ويدرِّسه يكتب بالعربية الفصحى والحديث يأتي على لسانه بالعامية أو الدارجة واللغة بطبيعتها. " لا تتجزأ ولا تكون صالحة للآداب دون أن تكون صالحة للعلوم، ولا تكون صالحة في الشارع دون أن تكون صالحة في التعليم ولا تكون صالحة في المرحلة الابتدائية دون أن تكون صالحة في المرحلة الجامعية "[1]. وهذه التجزئة هي حال اللغة اليوم فهي تواجه ازدواجية كبيرة وتجزئة في المجال وفي التخصص. فالشارع والبيت استولت عليه ما العامية منذ قرون وبقي للفصحى التعليم ومجاله الرحيب إلى أن جاءت المناهج الحديثة بشمولية التعليم وجزأته إلى مراحل وتخصصات لا يشبه بعضها بعضاً فحصرت اللغة العربية في مجال ضيق وأقسام محدودة سميت باسم أقسام اللغة العربية وجاءت الأقسام والتخصصات في العلوم الإنسانية والطبيعية فأعفتها من استعمال اللغة العربية الفصحى، امتدت العامية إلى التعليم وإلى كل تلك التخصصات، واحتلَّت مساحات هامة فيها، ما كانت تطمع العامية أن تصل إليها من قبل ولكي أُب يِّ ما أقصده بهذه الفقرة فإن هناك جامعة أضربها مثالاً في قلب الجزيرة العربية فيها (370) ثلاثمئة وسبعون قسماً أكاديمياً منها قسم واحد تدرس فيه اللغة العربية وآدابها، وعليكم المقارنة وتحديد النسبة، بل إن هناك ما هو أسوأ من ذلك هناك أكثر من جامعة من جامعاتنا لا يوجد فيها قسم واحد للغة العربية، وقد أصبحت لغة التعليم مقسمة إلى لغتين ليست

---

1. فلسفة اللغة، 282.

اللغة العربية واحدة منها. وإنما صارت لغة التعليم في الجامعات والمدارس العربية منقسمة إلى لغات أجنبية نصاً موضوعاً، أو إلى اللهجات العامية نصاً في الحديث والمشافهة والحوار والإلقاء والسؤال والجواب في الوقت الذي يبقى المكتوب باللغة العربية الفصحى مسطَّراً في مراجع الدراسة وكراريس الطلاب، وكل نصيب الفصحى هو الحد الأدنى من القراءة عندما يضطر الطالب أو مدرِّسه إلى العودة إلى النص المكتوب، فيقرأ منه موضوع الشاهد أو مجال الدرس. وقد تكون قراءته بين الفصحى والعامية أو في العامية في أغلب الأحيان. أما إذا وضع المدرِّس أو الطالب الكتاب من يده فإن لغته وحديثه ومحاورته سرعان ما يعود ذلك كله إلى العامية والعجمة.

واللغة كما يحدد وظيفتها اللغويون" [1] .

"ليست وسيلة للتفاهم أو للتواصل، بل اللغة هي أنها حلقة في سلسلة النشاط الإنساني المنتظم هي أنها جزء من السلوك الإنساني، إنها ضرب من العمل". واللسان الذي يركن إلى العامية ويتحدث بها ويملأ وجدانه بمفرداتها وجملها وتراكيبها وأشعارها وأمثالها وثقافاتها أنَّى يكون له بعد ذلك نصيب من اللغة الفصحى أو حظ من جودة أساليبها وبيانها وبلاغتها وإيجازها الذي لا يماثله إيجاز في غيرها من اللغات واللهجات. واستعمال اللغة يعد مهارة واكتساباً تزكو باستعمال الفصيح كلما كثر تكرار اللغة الفصحى على لسان المتكلم وأذن المستمع.

---

1. اللغة والمجتمع، ص17.

كما أن قدرة متكلم اللغة تنمو نمواً سريعاً كلما تعهدها الإنسان وحافظ على لامتها من اللحن وبعد بها عن شوائب العامية. ولاشك أن لغة التدريس يجب أن ترقى إلى مستوى اللغة الفصحى المؤثرة في المتلقي. أما استعمال العامية في التدريس والمحادثة بها فيحول دون تنمية المهارة اللغوية الفصيحة ويقلّل من شحذ السليقة ويؤثر في قدرة المتكلم تأثيراً سلبياً وهذا حال العربية اليوم .ومن هذا الحال الذي آلت إليه اللغة العربية وآل إليه منهج التعليم نشأت معضلة اللغة مع مدرسيها وطلابها نتيجة اتصالهم المباشر بالعامية والحديث بها وبالكلام العامي الذي لا ينقطع على ألسنتهم، مما يحوِّل ملكاتهم اللغوية عن الفصحى وعن آدابها وجمال عباراتها وسلاسة أسلوبها والتفقه في نحوها وصرفها إلى ملكات عامية ولهجات محلية متعددة ومختلفة وضعيفة ركيكة، والعامية كما يعرف الجميع ليِّنة لا يبذل المتكلم فيها جهداً يذكر، وإنما ينطلق بها لسانه وتسبق على ملكاته اللغوية فيستعملها عفو الخاطر دون أن يشعر أنه يخالف قواعد اللغة أو يخطئ فيها، ولأن طبيعة الإنسان تكره التحديد وتنفر من الانضباط الذي يوجّه اللغة المقننة فإن مدرسي التعليم العام والجامعي على حد سواء يهربون من قيود الفصحى وقوانين النّحو فيجدون في العامية مندوحة تعوض النقص الذي يشعرون به هؤلاء. [1] أمَّا الضعفاء في التحصيل العلمي الذين أصبحوا يحملون شهادات تقرر نجاحهم من المدارس العامة والجامعات وتضعهم شهاداتهم ومراكزهم الوظيفية في صفوف المثقفين في حين أنَّا نراهم لا يستطيعون التعامل المتقن الذي يرضونه باللغة العربية، ولايستقيم لهم قياد اللغة ولا يرضون عن واقعهم وأساليبهم في

---

١. الفصحى ونظرية الفكر العامي، ص96.

فهمها. فانحاز هؤلاء إلى العامية هرباً من وصمة الجهل بقواعد العربية الفصحى وعدم إحسانهم لها، مع أنهم محسوبون من المثقفين الذين يفترض فيهم أن يجيدوا لغة أمتهم، وهم بذلك يجدون في العامية بلا شك مخرجاً من المواقف الحرجة التي لا يرضونها لأنفسهم، وكم من متحدث سمعناه وهو يقدم بين يدي حديثه الاعتذار عن أخطائه في اللغة ويلتمس من السامعين العذر في ذلك.

إن اللغة ليست أداة اتصال فحسب، ولكنها محتوى فكر ورصيد ثقافة، والعامية واستعمالها دليل " تفكك اجتماعي ثم تفكك فكري لغوي منحدر وهذا هو منشأاللهجات العامية المحلية تتجلى أعراضاً مرضية لا تعرفها الأمة في صحتها وقوتها ووحدتها [1] ".

ولا تزال هذه الأعراض مستمرة دائمة إلا إذا أخضعت للعلاج الدائم واتخذ الحزم القاطع في سبيل وقف أسبابها وعوامل انتشارها.

أثر ذلك في تحصيل الطلاب :

كان ضعف المدرّس هو أساس ضعف الطالب الذي أخذ اللغة على يد مدرس ضعيف، فرضع الضعف من بدء تعلمه مع مدرس يلقنه العامية في شرحه وحديثه وكلامه ويبعد عن الفصحى. والطفل بطبعه وفي مراحل تعليمه الأولى مقلد ماهر

---

1. من حاضر اللغة العربية، ص160.

لأستاذه فهو يدخل المدرسة في سن الاكتساب والتكوين اللغوي، والمثل يقول: " العلم في الصغر كالنقش في الحجر " ودارسو اللغات الحديثة يرون أن " ثمة وجهاً آخر غريزياً من أوجه اللغة يتمثل في أن هناك فترة حرجة لاكتساب اللغة، فقدرة الإنسان على التعلم تبلغ ذروتها في فترة تمتد تقريباً بين السنة الأولى والسادسة من عمر الإنسان... حيث يبدو أن تعلم اللغة تحدده عوامل فطرية أكثر من أي شكل من أشكال التعليم البشري" [1].

وهي مرحلة خطيرة في اكتساب اللغة مهملة في عمر الطفل العربي وقلَّما ينال الأطفال العرب فيها أي اهتمام ينمِّي قدرتهم على الاكتساب الفصيح لكنهم – للأسف – في هذه السنين لا يسمعون غير العامية لغة البيت ولغة الأتراب في الشارع. أمَّا في آخر هذه المرحلة التي حُدِّد فيها ترسيخ ملكة الاكتساب السريع فإن الطفل ينتقل إلى أولى الخطوات المقننة للاكتساب المعرفي، ويبدأ الدراسة المنتظمة ويدخل عالماً آخر يتشوق فيه إلى كل جديد وأهم ذلك اللغة التي يتوقع أن تكون لغة مختلفة عن لغته في البيت والشارع، ويبدأ في هذه المرحلة بالتقليد الواعي لأستاذه أولاً وزملائه الذين يلتقي بهم لأول مرة ،وقد يكون فيهم من سبقه بعام أو عامين إلى الدّراسة فلا يجد غير العامية ،ومنظِّرو اللغات الحديثة يرون أنه " من المرجح أنه لا توجد فترة في تاريخ البشرية على الإطلاق لم يُعترف فيها بأهمية المحاكاة في اكتساب اللغة بالتعلم فضلاً على سائر النظريات الحديثة المتعلقة باكتساب اللغة

---

1. اللغة والحياة، ص106.

التي تتفق على أن تنسب للمحاكاة دوراً بارزاً في جزء ما من أجزاء عملية اكتساب اللغة ولا يستثنى عصرنا الراهن من ذلك"[1] .

ولعل هذا الجزء الذي أشار إليه النص السابق هو موضع مشكلات اللغة الفصحى إذ لا يكون في صالحها حيث تكون عملية الاكتساب من لسان يلوك العامية ويتحدث بها فيصير اكتسابها سهلاً ميسوراً على الطفل ثم يعود إلى البيت ليسمع الجزء الآخر فلا يكون له مناص من الإغراق في العامية في المدرسة والبيت. ومرحلة الاكتساب هذه تمتد– كما يقول المتخصصون في تاريخ اللغات– مع نمو الطفل حتى يصل مرحلة البلوغ أي حتى يكمل التعليم العام كله ويصبح على مشارف الجامعة كما يقرر النص الآتي" إن اكتساب الفهم بالتعليم يجب أن يسبق اكتساب التكلم بالتعلم... هذا على الرغم مما نعرفه جميعاً من أن قدرة الطفل على فهم لغته تسبق دائماً قدرته على تكلمها وهو موقف يستمر إلى سن البلوغ... ويمكن النظر إلى هاتين القدرتين الإضافيتين في أحسن الأحوال بوصفهما امتدادين لبناء اللغة الهرمي فالأولى امتداد لمستواه الدلالي الأعلى والثانية امتداد لمستواه الصوتي"[2] .

وليس اكتساب اللغة في هذه المرحلة إرادياً بل تلقائياً يصير جزء اً من تكوينه اللغوي فلو كان اللسان الذي يسمع الطفل في الدراسة مُنذ البدء كان اللسان الفصيح لتغير تكوينه اللغوي وحسن اكتسابه اللغة التي يتحدثها مدرسوه فهو بطبيعة سنه وصفته

---

1 . اللغة والحياة الطبيعية البشرية، ص124.

2 . اللغة والحياة، ص130.

الطارئة مقلد ويود أن يعود إلى البيت بشيء جديد يختلف عما ألفه فيه من نمط الحديث وماعرفه من كلمات وجمل ومفردات ولهذا السبب يقول تشومسكي [1] :

"من أهم الحقائق التي تلفت النظر في اكتساب اللغة عند الطفل الدقة الفائقة التي يقلد فيها كلام من حوله فتتجاوز دقة التفاصيل الصوتية هذه ما يستطيع البالغون إدراكه إن لم يمروا بتمرين خاص... فمن الواضح أن الطفل يسمع من غير وعي التَّفاصيل الصوتية الدقيقة التي ستصبح جزءاً من معرفته وهي التفاصيل التي لن يكون باستطاعته الإحساس بها عندما يكبر" .

إن هذه القدرات عند الأطفال وهذه المواهب التي ولدت معهم لم تستطع مناهج التعليم في العالم العربي ولا الجامعي توظيفها توظيفاً صحيحاً يخدم مستقبل الطفل ومستقبل اللسان العربي الفصيح، بل انحدرت وانحرفت إلى مهابط العامية على أيدي مدرسين لا تمكّنهم قدراتهم وتأهيلهم على أن يقدّموا ما يشوّق الطفل ويجذبه إلى التعلق باللسان الفصيح، وإنما يسمع ما يكرر عليه في كل درس في وعاء العامية الضعيفة التي ترسبت في حسه اللغوي وأبعدته عن سماحة الطفولة التي "تميل إلى الدفق في الخارج بعفوية سمحاء، فمن الخطأ والحالة هذه أن نضعها في غير مجرى السليقة وفي غير العفوية... ونعرضها للكد وللشد من أخطائنا التربوية" .

وإذا كانت العامية تأخذ على المدرِّس وعلى الطالب منافذ الطريق ويكون الحوار والكلام بها فإنه من غير الممكن أن تولد معجزة تجعل هؤلاء الأطفال بعد

---

1. اللغة ومشكلات المعرفة، ص35.

إكمال التعليم العام أو حتى بعد التخرج من الجامعة ومن أقسام اللغة العربية يقلعون عما عهدوه في كل سني دراستهم وتلقوه في مناهج تعليمهم، وإن تجاوز الطفل للمراحل الحرجة في اكتساب اللغة وهو يستمع إلى عامية غالبة ويدرس في لغة عامية، ويعيش وسطاً عامياً حُكِمَ عليه في أن يبقى على هذا الحال وفي ذلك المحيط المتلاطم برطانة العامية وثقافتها. وبذلك يصدق عليه الرأي الذي يقول إن "الظاهرة الخطيرة لأزمتنا اللغوية هي أن التلميذ كلَّما سار خطوة في تعلم اللغة العربية، ازداد جهلاً بها ونفوراً منها وصدوداً عنها، وقد يمضي في الطريق التعليمي إلى آخر الشوط فيخرج من الجامعة وهو لا يستطيع أن يكتب خطاباً بسيطاً بلغة قومه، بل قد يتخصص في دراسة اللغة العربية حتى ينال أعلى درجاتها، ويعييه مع ذلك أن يملك هذه اللغة التي هي لسان قوميته ومادة تخصصه ، كل درس يتلقاه أبناؤنا في لغتهم العربية ينأى بهم عنها. ونرى اللغات الأخرى يتعلمها أبناؤها في مدارسهم العامة فيكسبون من كل درس معرفة جديدة بأسرار لغتهم " إن ظاهرة الشكوى من ضعف تحصيل الطلاب للغات وضعفهم في تعلُّمها ظاهرة عامة لا تنفرد بها اللغة العربية الفصحى من بين اللغات ولا ينفرد بها الطلاب العرب من بين الأمم. إلا أن كل لغة يحرص أهلها على بقائها واستمرارها يراودهم الخوف عليها، فيحتاجون في كل حين إلى إصلاح ما يطرأ من ضعف أو نقص أو تقصير يتلمسون أسباب ضعفها ويسعون بين فينة وأخرى في تطوير مناهجها ووسائل تعليمها وطرق تدريسها، ويستعملون أحدث التقنيات في سبيل إيضاح غامضها وتقريب بعيدها إلى الأذهان ويرتقون إلى مكانتها التي يودون أن تصل إليها.

إذا كانت اللغة كائن اً حياً متطوراً فإنه يجب تعهده بأسباب الحياة ومداومة تحسس ضعفه أو شكواه وعلاج ما يؤثر على سلامته وقوته ، ولا أشك أن اللغة العربية في عمرها الطويل وموروثها الضخم وحاضرها أو بالأصح حاضر أهلها اليوم، كل ذلك يحتاج إلى أطباء مهرة ونطاسيين عباقرة . كما أنها تحتاج إلى عاطفة رؤوم تحبها وتعيد لها مكانتها في نفوس أبنائها والثقة التي كانت لها وكانت زادها في رحلتها الطويلة ولا تزال تحتاج إلى هذا الزاد زاد المحبة وزاد الثقة وزاد الإيمان بأنها الموحد الذي بق ي للعرب والجامع الذي لم تفرقه الأهواء، ولله الحمد، حتى هذه اللحظة.

وأود أن أكون متفائلاً ومستبشراً في أنَّ حاضر اللغة العربية الفصحى خير من ماضيها القريب وأنها في سبيل النهوض المتجدد ، وما عرضته هذه الورقة ما هو إلا من قبيل الحرص على اللغة وتحسس الطارئ في حياتها الغريب عليها ومن ثم القضاء عليه وإبعاده حتى لا يؤثّر عليها.

وحالنا الذي نشكو منه ليس خاصاً بنا وحدنا بل هو عام في كل الأجيال المعاصرة التي نعرف بعض شكواها من ناشئتها كما نشكو نحن ، فالشكوى العامة من الضعف الظاهر على الأجيال المعاصرة في اكتساب اللغة لها أسباب كثيرة منها في رأيي ما نسميه إجبارية التعليم أي أن جميع الأطفال فيما بين سن السادسة والسابعة عشرة يلزمون بالدراسة ويرغمون عليها كما هو معروف، ولهذا فإن نسبة الضعف في تحصيل الطلاب أمر معقول إذا أخذنا بالحسبان الأعداد الهائلة التي تجبر على دخول المدارس العامة في هذه السن. وإذا أخذنا نسبة المتميزين وهم سيكونون قلة أمام

الأعداد الكثيرة غير المتميزة ،كان فارق النسبة هو ما نحكم عليه بظاهرة الضعف العامة في كل الأجيال وفي جميع اللغات وهو أمر مقبول ومعقول أيضاً. ولكن موضوع الشكوى وظاهرة الضعف الذي نشكو منه نحن العرب خاصة في اللغة العربية الفصحى ليس الضعف فحسب ولا تحصيل الطلاب بشكل عام وهو ما يشاركنا فيه العالم من حولنا بل أداة التعليم ووسيلته، فنحن نُعلِّم اللغة العربية الفصحى بالعامية وبين الفصحى والعامية ما تعلمون من الفوارق. إذن وسيلتنا في تعليم اللغة العربية الفصحى هي موضوع النقاش وهو ما أرى أننا مطالبون بأن نبحث له عن حل ونجتهد في البحث.

أولاً : عدم التسامح في استعمال اللهجة العامية في التدريس وعدم الاستنامة إلى سهولتها وعدم اتخاذها أداة للمخاطبة في التعليم حتى لا تفقد اللغة العربية الفصحى مكانتها في نفوس أبنائها ويضعف احترامها، ويصير البديل العامي والدارج مقبولاً أو شبه مقبول أو متفقاً عليه ضمنا أو مسكوتاً عنه، وإذا حصل ذلك لم يعد للعربية الفصحى مجال ولا احترام، وقد يتهاون بحقها المدرِّس والطالب وتفقد عندئذ القيمة العلمية التي كانت لها في نفوس الناس والاحترام الذي وقر لها على مدى التاريخ ومع كل الأجيال الماضية وفي كل الحقب الخوالي.

ثانياً : النظر في وضع مدرسي التعليم وفي مناهج الكليات التربوية ومعاهد التأهيل التي تخرج هؤلاء المدرسين، والاجتهاد بوضع المنهج الملائم الصالح لما يعدون له، والتركيز على تنمية قدرة الخطاب والتكلم بالفصحى، واستظهار قدر صالح من آثار الفصحى من شعر ونثر حتى يعين ذلك المدرِّسَ على الاقتداء بما يحفظ

عندما يتحدث إلى طلابه أو عندما يستعمل العربية في لغة التدريس ويكون التعليم الجامعي امتدادا لما سبقه من بداية يفترض أن تكون قوية.

ثالثاً : انتقاء المتميزين من المدرِّسين والمبرزين منهم وتكليفهم بتدريس اللغة العربية وآدابها ومتابعتهم بعد التخرج وتنمية مواهبهم ومعارفهم وتعهدهم على مدى سني الدراسة مهما طال الزمن بهم وتحديث معلوماتهم في كل عام.

رابعاً : المطالبة الجادة بجعل لغة التدريس هي اللغة الفصحى في جميع مراحل الدراسة من الابتدائية حتى الجامعة، واستعمال اللغة الفصحى في كل التخصصات مهما كان موضوع التخصص وفي أي مرحلة كان.

خامساً : تنبيه أهل الثراء والجاه الذين بدأوا ينشرون باللغة العامية إلى خطورة ما يقدمون عليه عندما يكتبون دواوين الشعر العامي ويطلبون من الناس دراسة تلك الدواوين والكتابة عنها وتحليلها والثناء عليها والتمجيد لها. ولاسيما أثرياء الخليج والجزيرة العربية، وبيان واجبهم نحو احترام لسان قومهم ومكان لغتهم العربية. وقطع دابر التفكير في تدريس مادة ما يسمونه بالأدب الشعبي في الجامعات والمؤسسات العلمية.

سادساً : توجيه نداء للحكومات العربية بوجوب المحافظة على سلامة اللغة الفصحى واحترامها واتخاذها لغة الدواوين والمخاطبات الرسمية في كل المجالات، وحمايتها من مزاحمة اللغات الأجنبية.

سابعاً : مخاطبة رؤساء تحرير الصحف والمجلات في الدول الخليجية والجزيرة العربية خاصة، وبيان خطر ما يحدث من تخصيص صفحات للغة العامية في مطبوعاتهم ونشر ذلك على القراء. وبيان أن واجبهم القومي والوطني ووظيفتهم التثقيفية في المجتمع ورسالتهم في تقوية أواصر وحدة أمتهم كل ذلك يحتم عليهم احترام اللغة العربية الفصحى، ورفع مستوى ذوق القارئ وتنمية مداركه اللغوية والرقي بها إلى المستوى الذي يليق بها وأن يبين لهم أن إلهاء القارئ بالصفحات العامية وإشغاله بما تنفث من سموم يُعدّ تخلياً عن مهمة الصحافة الوطنية ونقصاً في إدراكها لواجبها.

الرابع : اللغات الأجنبية

اللغة الإنجليزية مثالاً:

يأخذ مدُّ اللغة الإنجليزية والحديث عنها أبعاداً ثقافية ومعرفية ولغوية حادة هذه الأيام فضلاً على أبعادها السياسية والاقتصادية والفكرية التي أخذت حيزاً واسعاً من حياة الشعوب المعاصرة وليست الشعوب العربية وحدها، إلا أن ما يجب أن نهتم به اهتماما كلياً هو ما يخصُّنا نحن العرب منها لأنها أصبحت هي الوعاء الثقافي الذي تصب فيه المعلومات المعاصرة، وهي أي اللغة الإنجليزية الناقل والموصل القوي لخطاب الغرب الناطق بها الذي بدأ يأخذ من اهتمامنا نحن العرب شيئاً كثيراً في كل مجالات الحياة، وفي كل المناهج التي يسير عليها تعليمنا . لهذا السبب سنتناول أثر اللغة الإنجليزية على تفكيرنا وعلى ثقافتنا وعلى لغتنا العربية بوصف اللغة الإنجليزية هي لغة القوي القادر ومن طبيعة الأشياء أن يؤثر القوي على من هو دونه بالقوة والغلبة، واللغة وهي نشاط إنساني مؤثر ومتأثر تخضع لهذا القانون. وقد بدأت اللغة الأجنبية تزحف على مساحة اللغة العربية في بلدانها وتقتسم نصيبها من مناهج التعليم العام والجامعي مما دفع منظمة اليونسكو إلى التعبير عن قلقها لما تتعرض له اللغة الفصحى من تهميش وإقصاء، وقد نبهت في تقريرها إلى ما تراه من أثر على مستقبل اللغة فقالت :

"إنَّ البلاد العربية تعاني من أزمة في الهُوية نتيجة للمتغيرات التي طرأت في التركيبة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية العربية، وقد وضعت برامج عديدة للمحافظة على اللغة العربية كهوية للأمة بالإضافة إلى هوية المجتمع الوطنية والدينية لكن التحديات كانت كثيرة مما جعل اللهجات المتداولة "العامية " هي المسيطرة في واقعنا العربي وتبتعد شيئاً فشيئاً عن الفصحى التي سوف تصبح مثل اللغة اللاتينية يوماً

ما إذا استمرت الحال على هذا الوضع المؤلم والمحزن أيضاً، وقد عزز تراجع اللغة العربية الفصحى عدم وجود آليات فعالة لنشرها ودعمها. هذا بالإضافة إلى انحسار استخدامها في قلة من النخبة المتخصصة والتي تهتم بها من أجل المعيشة كوظيفة دون القيام ببحوث جادة من أجل إعمالها في الحياة اليومية والتعليمية بشكل صحيح، ومن أكبر المشكلات التي واجهتها اللغة العربية عدم وجود توحيد للمقررات ومحتوياتها في البلاد العربية واجتهاد كل قطر عربي على حد ة بوضع هذه المقررات كما أن الإعداد الأكاديمي والمهني لمعلمي ومعلمات اللغة العربية خاصة في التعليم العام متدن للغاية لعدم تأهيل المعلمين تأهيلاً مهنياَ لخدمة هذه اللغة، والاكتفاء بإعدادهم تخصصاً، وهذا الإعداد لا يتناسب مع مستوى التحدي الذي يواجه اللغة حتى إنه ينظر إلى المتحدث بالفصحى أحياناً بشيء من الريبة وأحياناً بالاستخفاف ، ولمواجهة هذه المشكلة التي تستهدف هوية الأمة ومصدر عزتها وكرامتها فإنه من الضرورة الملحة للغاية أن يتم القيام بأعمال جادة لمواجهة هذه الكارثة اللغوية والمسارعة في إنقاذها من خلال عمل برامج متعددة ومتنوعة على مستويات عدة ضمن استراتيجية دقيقة تنطلق منها الأمة العربيَّة لمواجهة هذا التحدي الموجَّه لطمس الهوية وتهميش ثقافة الأمة وتاريخها ".

هذا النقل عن رؤية مؤسسةٍ تربويةٍ مهتمةٍ بحاضر اللغة العربية يُعيدنا إلى تذكر محاولات كثيرة منذ بداية النصف الثاني من القرن العشرين حتى اليوم حين شعر المهتمون باللغة والثقافة العربية أن هناك مزاحمة فاعلة وقوية للغة الفصحى ذات شقين أحدهما: العاميات المنتشرة في البلاد العربية نتيجة الجهل والأمية التي سادت العالم العربي منذ زمن بعيد ، وثانيهما مزاحمة اللغات الأجنبية لها في موطنها وعلى ألسنة

أبنائها. نشأت عن شعورٍ صادقٍ بالحاجة وتصميم على أهمية العمل من أجل مستقبل اللغة العربية الفصحى، ولكن التصميم وتلك المحاولات لم تثبت أمام التغيرات الكبيرة التي يواجهها العالم العربي اليوم حيث صار الحديث عن عامل اللغة العربية والأجنبية يأخذ أبعاداً كثيرة، ولعل لنا وقفة قصيرة مع بعض الآراء التي تنادي بجعل اللغة الإنجليزية لغة التعلم في الجامعات العربية والفائدة التي يريدونها من هذه الرؤية. إذ يعتقد بعض القائمين على هرمية هذه المؤسسات التعليمية أن مستقبل الذين يجيدون اللغة الأجنبية هو الأفضل ويظنون أن اللغة الإنجليزية تحقق لخريجيها مهارات لا تتحقق في غيرها، ولابد أن تكون واردةً في أذهان الذين يرون هذا الرأي الحيثيات الآتية:

أولاً : الاستفادة من علوم العصر التي تعد الإنجليزية هي لغتها الحية.

ثانياً : إن اللغة الإنجليزية في رأيهم هي لغة العلم والاختراع والطب وغيره من العلوم الحديثة.

ثالثاً : انتشار اللغة الإنجليزية السريع في العالم العربي الذي أصبحت صلاته قوية بالغرب وحاجته إلى تعلم اللغة الأولى فيه مهمة للغاية.

وقبل أن أبدأ بعرض رأيي الشخصي فإني أؤكد عن قناعةٍ وعلم يقين أن من يرون هذا الرأي هم أبناء العربية وأحفاد الأمجاد من أبنائها، وانتماؤهم إلى الأرومة العربية لا يساوم عليه أحد، والعربية لغة وتاريخاً قناعة نفوسهم وإرثاً في تاريخهم ومجداً لهم. إذن لن أتحدث عن هذا الجانب المسلَّم به وسأنتقل إلى الرأي العلمي فيما

يطرح من آراء حول الفائدة المرجوة من تدريس العلوم باللغة الإنجليزية أو تدريسها باللغة العربية.

أي لغة تجعل الفهم سهلاً:

لا أتحدَّث هنا عن اللغة العربية وحدها ولكنني سأتحدَّث عن المصلحة العلمية فيما إذا كان التلقي يتم بلغة الإنسان الأصلية أي الأم كما يقولون أو بلغة أجنبية عليه. وأي الطريقتين أنفع للطالب تأهيلاً وتحصيلاً، أهي الأجنبية أم هي اللغة الأم، وأيهما أقدر على تمكين الإنسان من ممارسة تخصصه بعد تخرجه بكفاءة ومقدرة أهي اللغة الأجنبية التي يتعلمها بعد تجاوزه سن اكتساب السليقة اللغوية. فيدرس بها علومه في محيط محدود في صالات الدراسة وحدها، وهل هذه اللغة التي لا يعرفها إلا في قاعات الدرس ولا يستعملها في الخارج أقدر على تكوين الطالب ثقافياً ولغوياً أو تلك اللغة التي رضعها من المهد في بيته وسوقه ومع أصدقائه وفي كل لحظة تفكير لا يفكر إلا بها وهو في كل جوارحه يستشعرها، تُرى أيهما أقدر على تفتيق ملكات الإبداع لدى الدارسين؟ لا شك بأن هذا لا يتحقق للإنسان إلا بلغة السليقة والطبع. وللذين يرون فائدة من دراسة اللغة الإنجليزية والذين يدافعون عن تدريسها سأعرض أمثلة من التجارب السابقة قد نستفيد منها قبل الإقدام على تجربة قد تستمر سنوات ثم تفشل بعد ضياع عدد من السنين وعدد من الخريجين وعدد من ملايين الأموال التي سيحتاجها إعداد المناهج وغيرها في الجامعات العربية وفي المدارس ومؤسسات التعليم الأخرى.

اللغة والإبداع:

أولاً : إن التعليم بأي لغة ممكن إذا أجادها المرء وأحسنها بعد أن يبذل جهوداً غير عادية في تعلمها إذا كانت لغة الدراسة غير لغته الأصلية، أما الإبداع العلمي المحض والاختراع فإنه مستحيل إلا باللغة التي نشأ عليها المرء وتعلمها في الوسط الاجتماعي الذي يتعامل معه ولا يمكن أن يبدع أحد في لغة أخرى غير لغته مهما بلغ من إجادتها وإحسانها إلا أن ينقطع لها ويعيش أجواءها كاملة وفي بلادها ومع أهلها [1]. لأن الإبداع تصور كامل لما يريد الإنسان عمله والتصور لا يكمل ، ولا يصح باللغة وحدها وإنما بإيحاءاتها ومضامينها وظلالها وخيالها، فالإبداع يكون صورة ذهنية في عقل المبدع ينمو ويكبر حتى يتجسد في الإبداع نفسه أياً كان نوعه، ولا يمكن أن تكتمل الصورة الذهنية الصحيحة للأشياء إلا في اللغة التي يتكلمها الإنسان ويعيش في بيئتها كاملة. ومتعلم اللغة الأجنبية مهما بلغ من إجادتها لا يمكن أن يرقى إلى إدراك مضامينها ودلالاتها الخاصة، ذلك مستحيل بالتجربة والبرهان وهو كثير حي مشاهد.

الجهد :

إنَّ متعلِّم اللغة الأجنبية يبذل في فهم قدر معين من المعرفة أضعاف أضعاف الجهد الذي يبذله في فهم القدر نفسه من المعرفة في لغته الأصلية ويبذل في محاولة الاستيعاب أكثر من ذلك ، وهذا الجهد الذي يبذله في تعلم اللغة الأجنبية سيكون على

---

1. [لا ينبغي أن نتخذ الأمثال من تفوق العقول العربية التي ظهرت في الغرب، واستطاعت أن تبرع وأن تثبت نجاحها وتفوقها في البيئة، فقد يكون لانقطاعهم وانشغالهم بما فرغوا أنفسهم له، والظروف المحيطة، كل ذلك ربما كان له الأثر فيما وصلوا إليه].

حساب وقته وطاقته التي يهدرها في بذل جهد مضاعف لو استعمل بعضه في تعلم لغته الأصلية لأبدع بها كل الإبداع ولكان فهمه لتخصصه دافعاً إلى تمثله وإحسانه

البيئة واللغة :

اللغة تكوين بيئي والاستفادة منها تكوين علمي وبيئي أيضاً ولا يمكن الاستفادة التامة إلا في اجتماع هذين العنصرين البيئة واللغة. ولن تكون اللغة الأجنبية لغة بيئة مهما بذل في توطينها وتعلمها. والإجادة لابد أن تكون في لغة البيئة التي لا تناقض بين مدركات التحصيل بها وممارسة الحياة اليومية الدائمة لها وإذا خلت مناهج تعلم اللغة من بيئتها نقصت القدرة على تمثلها وإحساسها والاعتماد عليها في الاكتساب المعرفي السليم.

تجربة حية :

سأضع أمامكم تجربة من الواقع دليلاً على أن اللغة الأجنبية لا يمكن أن تنهض بقدرات الذين يكتسبونها بالتعلم في المدارس والجامعات في بيئة غير بيئتها وفي غير محيطها ، والشاهد على ما أقول أن هناك في المحيط المحلي العربي جامعات اعتمدت اللغة الإنجليزية منذ تأسيسها في كل تخصصاتها، وهناك جامعات اعتمدت اللغة العربية في التخصصات نفسها التي اعتمدتها الجامعات الأخرى وكلها في دول الخليج ،وقد مضى على هاتين التجربتين أكثر من ثلاثين عاماً. والثابت من التجربة أنَّ خريجي الجامعات التي تدرس العلوم باللغة العربية هم الذين حققوا تميزاً في علومهم الطبيعية وأظهروا قدرات جيدة في الفهم والاستيعاب والإدراك الواعي

لتخصصهم. أما خريجو الجامعات التي تدرس العلوم باللغة الأجنبية فقط فإني لا أعرف خريجاً منهم تجاوز في تخصصه الأداء الروتيني اليومي والعمل الوظيفي البيروقراطي هذه تجربة من واقع جامعات المنطقة قد توفر علينا المجازفة الجديدة في خوض تجربة قد يطول انتظارها ويطول الحكم عليها بالفشل أو النجاح.

مثال من الواقع:

يزعم بعض من لا يعرف طبيعة اللغة أن اللغة الفصحى مسؤولة عن الضعف في التحصيل، وسأدلل على بطلان ذلك بأمثلة تعرفونها ويعرفها الذين يريدون أن يجعلوا التدريس باللغة الأجنبية معالجاً هذا الضعف. دول غرب إفريقيا وشمالها بما في ذلك الدول العربية (الجزائر والمغرب وتونس وموريتانيا) كلها تدرس في مدارسها وفي جامعاتها باللغة الفرنسية وهي اللغة الأولى في هذه الدول ، والمغاربة والجزائريون يجيد المتعلمون منهم الفرنسية ويحسنونها تحدثاً وكتابة مثل الفرنسيين ومع هذه الإجادة للغة لم يحدث فيها تقدم يذكر ولا أصبحوا مثل أقرانهم الفرنسيين ولا قاربوا ذلك، والسبب هو الازدواج الثقافي والذهني بين الفرنسية لغة التعلم وبين البيئة العربية. فقد خلق انعدام التوازن نوعاً من التشتت الذهني فتولد عن ذلك نوع من الازدواج الثقافي الذي لا يساعد على الإبداع بل يساعد على انفصام الشخصية العلمية للطالب وتفكك الإدراك وتشتيت الذهن بين متناقضين ومتعارضين، لغة الطالب الأصلية، واللغة التي يكتسبها بالتعلم فلا هو يفكر تفكيراً كاملاً بلغته الأصلية ولا هو منقطع إلى لغة التعلم التي يتعلم بها علومه في المدارس والجامعات.

الوضع العام:

ليست تهمة الضعف في التحصيل موجهة إلى اللغة أي لغة ، إنها موجهة إلى الوضع الحضاري والثقافي العام، وسبب الضعف خارج عن إطار اللغة متصل بأسباب أخرى كثيرة، ولو نظرنا إلى جميع دول العالم اليوم لوجدنا الشكوى من ضعف الطلاب باكتساب اللغة هو السائد في جميع الدول حتى الغربية منها.

أهمية اللغة الثانية :

تعلم اللغة الأجنبية في غاية الأهمية ويجب أن يكون تعلمها في الجامعة لزاماً إلا أنه لا يجب أن تكون لغة التعليم لأن ذلك سيحدث انفصاماً ثقافياً بين مجتمع الجامعة وخريجيها. ولن يحصل الخريجون على المعرفة المرجوة بلغة أجنبية يستعملونها في صالات الدراسة أو العمل وتنقطع حاجتهم إليها في المحيط الاجتماعي الذي يجبرهم على التكلم بلغةٍ أُخرى غير لغة التعلم وتبقى لغة الدراسة حتى تضمحل وتموت مع مرور الزمن وبُعد المتخرج عن الممارسة العلمية للغة الدراسة الأجنبية.

الرأي :

والذي أرى، وأرجو أن نستفيد منه هو أن يبقى التدريس باللغة العربية، وأن تضع بعض المؤسسات التعليمية برنامجاً موازياً ومكثفاً باللغة الإنجليزية، هذا البرنامج يُمكِّن الخريجين من الاطلاع على العلوم الضرورية في اللغة الإنجليزية ويساعده م على الاتصال بمصادر المعلومات ويحقق ما تهدف إلى تحقيقه. وما هو غني عن

الذكر أن العلوم الطبيعية العصرية لم تكن باللغة الإنجليزية وحدها حتى نضطر للتدريس بها، فهناك اللغة الفرنسية وهي من اللغات ذات السبق العلمي ثم هناك اللغة الألمانية وغيرها من اللغات، ومن المستحيل أن يلم الإنسان بهذه اللغات كلها. أؤكد على أن هناك فارقاً كبيراً بين شيئين : الأول تعلم اللغة الأجنبية وأهميته التي لا نختلف عليها. والثاني جعل اللغة الأجنبية لغة تدريس هذه العلوم في المدارس والجامعات. تعلم لغة أجنبية ضرورة بل يصل إلى مرحلة الوجوب ، واللغة الإنجليزية من أهم ما يجب تعلمه الآن في جامع اتنا، إلا أن تدريس العلوم في المدارس والجامعات العربية بلغة أجنبية – مهما كانت – أمر مختلف كل الاختلاف عن تعلم اللغة الأجنبية وإجادتها والاستفادة من مكتسباتها. وهو ضار للعملية التعليمية وليس نافعاً لها.

لغة التدريس :

لغة التدريس في المدارس العامة ومؤسسات التعليم العام والجامعات العربية يجب أن تكون باللغة العربية التي يرجى أن يبدع أبناؤها بها، ولا أريد أن أضرب مزيداً من الأمثال على أهمية اللغة الأم والاكتساب للتعلم ، فاليابان تدرس العلوم كلها بلغتها مع ما في اللغة اليابانية من بعد وصعوبة على الحس الغربي، وكلنا يعرف قدرة اليابان ونجاحها في الجانب العلمي، وفي الطرف الآخر نرى تركيا وقد تخلت عن أبجديتها لغتها ودرست أبجدية الغرب ونحن نعرف الفارق بين اليابان وتركيا وهو ما لا يخفى على أحد. وكذلك إسرائيل التي أحيت العبرية وجعلتها لغة التعليم والحياة مع قرب إسرائيل من حضارة الغرب وثقافته ولغته واتصالها به وعلاقتها معه، ومع ذلك لم

تختر لغة من لغات الغرب للتدريس في مدارسها وجامعاتها مع صلتها بهذه اللغات وأهميتها لها، ومع موت العبرية وانتهائها من الاستعمال المعاصر منذ آلاف السنين، فقد أصرت على إحيائها لتمييز شخصيتها وهويتها واعتزازها بمكونات الذات الفاعلة بلغتها الخاصة التي تمثل هويتها وتحقق شخصيتها وتميزها عن غيرها من اللغات والشعوب.

حدود الاجتهاد :

إنني عندما أعرض وجهة نظري فإنما أنطلق من تجربة التعليم الجامعي ومتابعتي للعملية التعليمية. وأنا أقِّدر كل اجتهاد يبحث في مستقبلنا التعليمي ولا سيما الجامعي، إلا أن الاجتهاد يجب ألا يمس الثوابت المتفق عليها في العالم كله وهي أن لغة الأمة تشكل هويتها وشخصيتها التي تعبر عن وجدانها وآمالها وعن كينونتها وسيادتها ولا يجوز الشك في وظيفة اللغة الأساسية وهي التعلم والتعليم وإلا أصبحت الأمة تشك في وجودها وقدرتها وتستخف بإرثها الفكري وحقها في استقلال الإرادة وذلك ما يوحي به اختيارها للتدريس بلغة غير لغتها واستعمال ثقافة غير ثقافتها.

القرن الحادي والعشرون قرن العولمة

اللغة الفصحى ومدُّ العولمة :

ما لا خلاف عليه أن اللغة هي وعاء للثقافة وحاضن لملامح هوية الأمة الثقافية والفكرية ولا شك أن الملمح القوي الساطع في هذا الوقت هو الحديث عن

العولمة وعن التحولات الكبيرة في الفكر والقيم والأخلاق التي لا تخطئها العين ولا يجهل حسيسها في الوقت الحاضر، لكن الخلاف حول حقيقتها وماهية ارتكازها وغموض معناها. كما أن أهدافها ومضامينها أشد غموضاً وانغلاقا، إلا أن هذا لا يمنع من الحديث عن ملامح واضحة تجلت فيما نعيشه وتعيشه أمم غيرنا ، وهذا الملمح البيّن الظاهر الذي نكاد نحسه ونلمسه بأيدينا هو صلة العولمة باللغة والثقافة، هذه الصلة هي بلا شك استلاب لثقافات الأمم غير الغربية ولغاتها بل استلاب حتى للثقافات الغربية غير الناطقة باللغة الإنجليزية، والدليل على ذلك هو أن الدول الغربية نفسها بدأت تخشى على ثقافتها ولغتها وخصوصية تكوينها مما ستجلبه العولمة معها من غطاء عالمي وعاؤه اللغة الإنجليزية وحدها، وقد بدأت الدول في الشرق والغرب تبحث عن مصدات ودفاعات تحافظ على سماتها الثقافية الخاصة بها خوفاً من الذوبان في ثقافة العولمة ولغتها، وفرنسا تصلح أن تكون مثالاً لما نحن بصدده فقد جمعت أمرها قبل سنوات وأعلنت التعبئة الثقافية ضد العولمة وأقامت الاتحاد الفرانكفوني معتمدة اللغة أساساً له، وعقدت مؤتمراً لهذا الغرض في شرق آسيا (هانوي) ورسمت خطة تجمع الدول ذات العلاقة بالثقافة واللغة الفرنسية أو المتأثرة بالفرانكفونية، وبالرغم من أن فرنسا من أقوى الدول تأثيراًَ في الوقت الحاضر إلا أنها تعرف أنها لن يكون نصيبها الثقافي في ظل العولمة مساوياً لنصيب الثقافات الناطقة باللغة الإنجليزية المحظوظة التي بقي لها سلطانها، وقوي انتشارها حتى عندما غربت شمس بريطانيا العظمى عن الكرة الأرضية، إذ سطعت شمس الأخطبوط الأمريكي مستعملاً اللغة ذاتها والثقافة نفسها مهتماً بنشرها في الآفاق، وأمام هذا الحال بدأ

العالم كله يحصن دفاعاته حول ثقافته المحلية ويتمسك بشخصيته اللغوية، ولا شك أن العالم الذي لا ينتمي إلى ثقافة الغرب وحضارته يخاطر أشد المخاطرة عندما يقبل لغة الغرب الآمرة وثقافته العامرة بالمخترعات والإبداعات العظيمة التي تحمل مضامين حضارته، ومفردات لغته وهو يقيم على إيجابيات العولمة كيفيات التعامل مع الآخرين، ولا شك أنه يظهر شيئاً من المرونة والتسامح ويعطي فسحة للخيارات الكثيرة المتاحة لأن العولمة على ثقة من قدرتها على الاختراق الثقافي الذي وعاؤه اللغة وهي قدرة كبيرة. وقد أدرك بعض الباحثين العرب واقع الحال وأثر الثقافة الحادثة وعولمتها في حاضرنا العربي مع تجربة اللغة في وظيفة الغزو والاستلاب الثقافي قائلاً :" إن النظام الجديد في عالميته لا بد أن يتضمن مشروعاً لغوياً لأن اللغة هي الحامل الأكبر للمنتج الثقافي وهي الجسر الأعظم للمسوق الإعلامي وهي السيف الأمضى للاختراق النفسي وعليها مدار كل تسلل أيد يوجي وكل اندساس حضاري" .

إن المخطِّطين للأممية والعولمة والكونية يعلمون يقيناً بأن اللغة هي أم المرجعيات في تشييد المعمار الحضاري، وفي بناء صرحه الثقافي، وليس من عاقل يسلم باكتساء النظام العالمي الجديد ثوب الحرب الاقتصادية والثقافية إلا وهو يسلِّم تسليماً طوعياً، بأن ذلك النظام على تعدد أربابه، حامل لبذور الصراع المحتدم. كلٌّ على شاكلته وكل بحسب طاقته في الجذب أو بحسب أسلحته في خلخلة النفوس واحتلال الأذهان.

إن الكونية الثقافية هي الاستعمار الجديد بلا ريب وللاستعمار نواميسه وله كذلك منظومة تديرها قوانين ثابتة، ولا بد أن يجنح الاستعمار الجديد إلى اقتفاء أثرالثوابت فيعيد إنتاج نموذجه التاريخي الأول ولا سيما في الربط الآلي بين التسلط السياسي والتسلط اللغوي، بل لا بد هنا أن تصدق المقولة ولو مرة واحدة (إن التاريخ يعيد نفسه)[1] .

ولست أظن أحداً يشك في إدراك الدكتور عبد السلام المسدي صاحب النص السابق لأَ همية الثقافية واللغة ووظيفتها الأيديولوجية ومعرفته بأركان اللعبة الثقافية اللغوية وواقع العرب والمسلمين الذين تضعهم الأقدار في مواجهة غير متكافئة مع أمم تقود العولمة الاقتصادية والثقافية بوعي واضح الأهداف لما تريد وتتجه بثقلها العالمي لتحقيق مصالحها في الوطن العربي بخاصة، وفي العالم الثالث عامة وهي تحتج بقدرة فائقة لأغراضها وتتوسل بكل الوسائل المختلفة لتذليل العقبات في سبيل مدّها المتقدم إلى العالم الضعيف، متخذة الطرح المغلف بسياج رقيق من المصالح والفوائد المشتركة أو التي تبدو كذلك عند النظرة السريعة إلى ظاهرها.

واللغة هي الوسيلة التي تحرك المشروع الثقافي والحضاري المعاصر، والعولمة بشقها الثقافي واللغوي هي التي تواجه التحدي من ثقافات الأمم والشعوب الواقعة تحت ظل العولمة الجديدة، وإذا كانت أركان العولمة هي الجانب الاقتصادي والعسكري والثقافي فإن أقوى هذه الأركان الثلاثة وأخفاها أثراً في التسلل إلى عقول الشعوب

---

1. الدكتور عبد السلام المسدي، اللغة ومخاطر العولمة، الرياض، 1418/12/27هـ.

المغزوة، وأقدرها على خلخلة كيانات الأمة، هي (الثقافة) لغة ومضموناً حيث تسبق المرحلتين الأوليتين، وتأتي تمهيداً لهما، ليكون الاستعداد تاماً والاستقبال سهلاً والإغراء ممكناً والتفاهم والتواصل مقبولاً.

وإذا كنا نلمس في الطرح الإعلامي الغالب النفس العالمي للثقافة وللاقتصاد بل حتى التقاليد والأعراف الاجتماعية ،فإن التبشير بأن تكون هذه الأمور كلها موحدة أو متقاربة أشد التقارب بدأ يلوح في الأفق الحديث عنه، والقبول به أصبح أمراً معقولاً لدى قطاع كبير من المثقفين وغيرهم من أصحاب النظرة السريعة. وما يترتب على ذلك من سؤال هو : لماذا نخاف العولمة ما دامت الفرص المتاحة والحياة الاجتماعية المقبلة في كل صورها ستكون واحدة؟ وما دام الإنسان سينعم بمجتمع إنساني واحد، تجمعه روابط البشرية والإنسانية ؟ والإجابة لن تأتي على شيء مما سبق إلا إذا عرف المرء أن الصورة المطلوبة للعولمة الثقافية واللغوية لا تجمع الثقافات واللُّغات والأمم والشعوب في المعمورة وتنِّسق بينها وتخلق منها صوراً للوحة الحياة البشرية التي سترسم على الأرض للمستقبل، وليس كل ثقافة في حاضر العولمة ستحتل مكانها الذي يناسبها في اللوحة العالمية القادمة ، ولو كان الأمر كذلك لرضي الناس بأن يكونوا إخواناً متساوين ومشتركين في الحياة التي يعيشونها في كوكبهم الصغير. ولكن العولمة التي تنادي اليوم بالاتحاد ونفي الفوارق الثقافية واللغوية والاقتصادية والسياسية والعسكرية، لا ترضى بالمشترك الثقافي ولا الاقتصادي، ولا السياسي، ولكنها ستختار مثالها المفضل سواء أكان هذا المثال عسكرياً أم سياسياً أم اقتصادياَ. والنموذج الذي تريده العولمة وتختاره هو النموذج

الغربي ، النموذج القادم إلى العالم كله بصورة الرجل الأبيض بثقافته الخاصة وبلغته وحضارته التي يمجدها ويعتز بها إذن فالعولمة المطلوبة هي أن تختار ثقافة غيرك ولغته، وأن تلجأ إلى الثقافة القادمة المسماة عالمية، تختار ما تحتاج إليه لتحله محل ثقافتك التي لا تصلح للعولمة في رأي الرواد العالميين في الوقت الحاضر. ثم إن الدعوة إلى الانضواء في أطر ثقافة العولمة ولغتها هي دعوة الأقوياء يستجيب لها الضعفاء أو يُكرهون عليها وهي دعوة مغلَّفة بغلاف أن تكون الدنيا قرية واحدة والناس مجتمعاً واحداً، والعولمة قدراً أبديّاً للجميع. لكن الغفلة عن قسمة الحظوظ في هذه القرية الواحدة، وإنكار الواقع الذي يعيش عليه أهل القرية هما موضع السؤال. وهما محور الإجابة التي نبحث عنها ولكننا لا نجدها بسهولة وهذا يقود إلى أن ننساق مع ثقافة الأقوى المؤثرة ولغته المنتشرة والميسرة ونتجافى عن لغتنا التي هي وعاء ثقافتنا متخذين الثقافة الطارئة ولغتها بديلاً عالمياً. وقد عالج الكثير من المثقفين المعاصرين هذا الميل الغالب على التوجه في العالم العربي إلى الثقافة ذات الأبعاد المتكاملة، وهذا أحد الباحثين المعاصرين يقول: "تعتقد النخب الاجتماعية في البلدان النامية أن الثقافة الإيجابية هي تلك التي تشجع الانطلاقة الاقتصادية أولاً وتساهم في جهود التنمية"[1] .

وتكريس القطيعة الثقافية مع المحلية والقومية هو محور الجدل القائم حول العولمة وماهيتها، وصلتها بالثقافات غير الغربية، ومدى القدرة التي ستواجه بهاالعولمة من قبل الثقافات المختلفة بأبعادها التي تستدعي أطراف الاهتمام العالمي

---

1. برهان غليون، الوعي الذاتي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، 1992م، ص102.

الجديد المؤثر الذي تلخصه العبارة الآتية : (إنَّ الحضارة الغربية تمثل خلاصة التطور الكوني المطلق بيد أن المجموعات الأخرى ما تزال بدائية تعيش في طور التوحش والهمجية والقبلية وشتى أوجه الانحلال والجهل والفقر والبؤس والتخلف، فهل يعيد التاريخ نفسه ؟ لا، فالوقائع تتغير، والأطراف تتبدل والمسوغات تتنوع ولكن الدمل التاريخي يتجدد وهذا هو الذي يمسك (بأعناقنا) إمساكاً. إن أممية سياسية وعولمة اقتصادية لا بد أنهما تستدعيان الكونية الثقافية استدعاءً ولا تهمل انتظاراً ولا ترجئ إنجازاً، والذي يزيد الباحث الثقافي حيرة فيضاعف تشتته الذهني هو ضياع سلم المرجعيات العقلانية في مستوى المنهج والنظرية[1] .

إن ما يحصل في عالمنا العربي وفي البعد الإسلامي أيضاً هو ضياع سلَّم المرجعيات وتشتت الرؤية التي تواجه بها الثقافة العربية ولغتها الثقافة الغربية، أو إن شئت فقل الثقافة العالمية التي يبشر بها العصر الجديد، وهي ثقافة لا شك أنها تجاوزت إشكالية المرجعية وحلت معضلة النموذج والإطار الذي تختار مسارهاالثقافي فيه، وطبقاً لذلك قد أطرت أسس العلاقة بين العامل الإرادي والعامل الظني . انتهت الثقافة الغربية – أو إن شئت تحديداً أكثر فقل– : الثقافة الناطقة بالإنجليزية، من ردم الهوة السحيقة التي تكونت بفعل الزمن وموروث الأسلاف، وخلصت هذه الثقافة الغربية من التراكم الكمي الذي خلفته عصور الظلام في أوروبا وعصور الانحطاط فيها. فلم يعد هناك إشكال في تحديد الأشياء وفي تعريف الأسماء.

---

2. عبد السلام المسدي، البصيرة الثقافية الجديدة، جريدة الرياض، العدد 10951 في 1419/2/24هـ.

هناك مرحلة تاريخية مظلمة سوداء صنفتها الحضارة الغربية وخلصت منها وانتقلت إلى حضارة النور وحضارة الفكر والحياة. ولا يعني ذلك أن تاريخها الحديث لا يعرف الظلام والتخلف، لكنه يعيش حياة الواقع الذي يشرق فيه جانبٌ فيض يء نفسه والعالم، كما يوجد فيه جانب آخر تحتله نقاط حالكة السواد، لكنه سرعان ما يتخلص من هذا السواد في ثقافته الحاضرة، ويربطه بتاريخه المظلم الماضي ويرسله إليه، وتاريخه الحاضر يفرز الواقع ويتعامل بوعي إشراقي جذاب. فما كان ظلاماً قاتماً أحاله إلى شكله ومثيله من التاريخ، وما كان مشرقاً مضيئاً أضافه إلى حاضره، وتطلع به إلى المستقبل. بهذا التصنيف استطاع المجتمع الغربي أن يقر في الأذهان غلبة الإشراق على الظلام في ثقافته. وقد طرد فجر هذه الأمة الغربية ظلامها، وانتشرت ثقافاتها. وهي بهذا الوعي المتميز تعامل الثقافات الأخرى، تريدها أن تختفي في ظلها وتتبع الضوء الذي تشعه الحضارة الغربية، ولا غرو فهي مزهوة بهالتها وجاذبية العطاء المتميز فيها، ولعلها تكون على بعض الحق حين تريد من العالم أن يتخذها مثالاً، ويسير خلفها في ركب العولمة، أو بالأصح يسير في ظلها يحمل من ثقافته ما يمكن أن يضاف إلى نموذج الغرب الذي يسير عليه، ويتخلى عن كل نماذج التضاد والتعارض التي يكونها عامل الضدية في الثقافات الأخرى.

والعولمة بفتوَّتها وشبابها المتجدد في هذا العصر تنظر بعين الوعي للثقافات القديمة ولغاتها نظرة فيها مسحة الإشفاق والرحمة لها من زمانها وشيخوختها، وتعرف عجز أهلها عن التجديد فيها، ولكنها أيضاً قادرة على استقراء الحياة والواقع الذي يجعل أهل كل ثقافة يتمسكون بها ويحافظون عليها، ولهذا السبب قد تظهر العولمة

الثقافية بمظهر الحياد التام في قضية الثقافة واللغة، ومن هذا الإحساس والظهور انتقلت إلى الحديث عن ثقافة العولمة وليست ثقافة الدول الغالبة التي كان التبشير بها هو مفهوم العقود الماضية أول القرن العشرين حتى الانفراج الذهني الذي أتى بالعولمة لتكون شمولية تامة للثقافة وللسياسة وللغة في القرن الحادي والعشرين بل لكل منفذ من منافذ الحياة فالأمر هو عولمة وهذه لا تخص أحداً. لذلك يكون الاطمئنان إليها أكثر والحذر منها أقل.

إن ثقافات الأمم والمجتمعات غير الغربية تقع اليوم في ظل ثقافة العولمة وفي مدارها الطويل وتحت ذراعها الممتدة إلى الآفاق، وفي كل الاتجاهات وهو مدار ساخن، يثير كثيراً من المشكلات المتوقعة، ويؤثر أكبر الأثر على مستقبل العالم الثقافي، الذي تمد إليه العولمة ذراعاً قوية تحركها بكل مهارة واقتدار، وفي كل اتجاه تتوجه إليه الثقافات التي ستقبل الانضواء في إطار العولمة وصيرورتها أو التي ستحاول الانفضاض عنها، وترفض القبول برفع شعارها.

إن اللغة والثقافات ذات الفكر البشري والإرث الحضاري والتميز التاريخي ستنحاز بدون شك عن طريق العولمة، لأنها لن تقبل الانقياد المباشر ولا الاندماج السهل ، ذلك لأن الثقافات لها طبيعتها التي تستعصي أحياناً على الذوبان، ولها قاموسها الذي يرفض المغريات، واللغة والثقافة نتاج بشري له طبيعة البشر واختلافه، وقابليته للتحدي والمصادمة أو الخضوع والانقياد.وقد فرضت ثقافة العولمة بأبعادها السياسية والاقتصادية واللغوية سيطرتها وخلصت من التحدي المحتمل لكل الثقافات. وهي تضع الخيارات الممكنة لهذا التحدي أمام الثقافات المغزوة وتضع الخيارات

الصعبة للتعامل مع هذا التحدي ومقاومته، ومن الخيارات المتوقعة خيار المهادنة والاستسلام وخيار المواكبة والسير في رحاب الاتجاه العالمي أو خيار الانكماش والانطواء. تلك خيارات ممكنة وقد تكون مقبولة للغرب، كما قد يكون التعامل معها على أساس الهيمنة والغلبة مقبولاً.

أما الخيار الصحيح للغتنا وثقافتنا فهو خيار الموازاة والانطلاق من عقال المحلية والقطرية إلى روح العربية الجامعة وإلى ثقافتها وشفافيتها ودفع عجلتها لتسير مع الثقافة الغربية موازية لها ومتحدية لغلبتها وسلطانها. إنَّ الثقافات ذات العمق الحضاري والإرث التاريخي قادرة على التحدي وقادرة على الصمود وقادرة على الاستقلال بشرط ألا يكون المعوق لها هو ارتكاسها في نظرتها إلى بعدها التاريخي وموروثها الثقافي وحده ،فيكبِّلها هذا الموروث، ويربك سيرها، ويعطِّل الإرثُ حركتها نحو المستقبل ، وما نعانيه في لغتنا العربية وثقافتنا الإسلامية هو ضرب من هذا الإرباك والتردد حيث لا نعرف بالتحديد ما نريد من موروثنا الثقافي وما نحتاجه اليوم، وما لا نريده اليوم ونحتاجه غدا. إن تقصيرنا في الانتقاء والاختيار هو موضوع العجز الذي نعاني منه ونشعر به أمام ثقافة العولمة. وأول الأدلة على هذا العجز إعراضنا عن لغتنا وتشبثنا بلغة الغرب وانقيادنا لها.

الثقافة العربية تستطيع بلغتها الموازاة والسير إلى الأمام وتستطيع الإضافات الحضارية أو فقل : إنها تستطيع الاستغناء بذاتها عن ثقافات العالم وهي قادرة على الأخذ والعطاء كغيرها من الثقافات المتينة والحضارات السامقة، لكن السؤال الذي لا نجد له جواباً مقنعاً هو : متى نحدِّد علاقتنا بالثقافة ؟ ومن أين نبدأ الحاضر الذي ندفعه

للمستقبل ؟ وكيف نفرز هذا الكم الهائل من الموروث البشري ونصطفي منه الصالح ونحافظ على لغتنا وثقافتنا حية فنجعلها إناءً لما نصطفي من الماضي، وما نحدث من مشاركة للمستقبل ؟ وإذا عرفنا وظيفة الثقافة استطعنا التعامل الصحيح مع اللغة ومع الثقافات العالمية وأخذنا مكاننا من العولمة دون أن نفقد هويتنا الثقافية، ودون أن تهتز الثوابت الصالحة للاستمرار ، ولكنني أكرِّر : إننا بحاجة إلى غربلة موروثنا الثقافي، والانتقاء، وأخذ الصحيح الصالح وترك الإفراز الضعيف الذي تهزه أقل المؤثرات، فتراه يتبلد أو يتعطل عندما تعصف به عواصف التغيير، ويفقد توازنه أمام طوفان المد الذي لا يكاد يقف عند حد معين.

استشراف المستقبل

المستقبل بيد الله سبحانه وتعالى ، والعمل له بأيدينا ، والإخلاص واجب علينا لمستقبل اللغة والثقافة بل مستقبل الأمة كلها ، ولا شك إن إدراك الواقع الذي نعيشه بكل ما فيه من مثبِّطات وبكل ما فيه من إحباطات هو أول طريق التصحيح لمناشط حياتنا كلها واللغة الجامعة الموحدة هي أهم تلك المناشط. أما مستقبل اللغة فهو قرار سياسي بدأ بقول عمر أقرئ الناس بلغة قريش، وأكَّده أمر عثمان لكتبة المصحف إذا اختلفتم أنتم وزيد فاكتبوا ما اختلفتم فيه بلغة قريش ، وهي قرار سياسي عندما قال معاوية لجلسائه: من أفصح العرب ؟ فأجابه المجيبون: قومك يا أمير المؤمنين. منذ تلك المقولات حتى يوم الناس هذا واللغة قرار سياسي واجتماع شعبي ، وإذا أردنا اليوم أن تنهض الأمة من وهدتها وتنهض لغتها فعلينا أن نبحث عن هذا القرار السياسي والتوجه الشعبي عندئذ –وعندئذ فقط– تنهض الأمة بوحدتها اللغوية وتنهض اللغة

المعبرة عن جمهور الأمة. وأول قرار يجب اتخاذه هو قرار تعريب التعليم الجامعي وحماية اللغة من المنافسة غير العادلة م ع اللغات الأجنبية أو الارتكان إلى اللغات العامية.

أما متى يتخذ هذا القرار ، فيتخذ إذا قام العلماء والمفكرون وأهل الرأي بالمطالبة والإصرار وتقديم البدائل التي يتعلل بعدم وجودها المتعللّون ، يجب أن نقف وقفة رجل واحد ونقول برأي واحد ونحرِّض طلابنا وشبابنا على أن تكون لغتنا هي لغة الحياة والتعليم والخطاب الرسمي السياسي والشعبي ، متى فعلنا ذلك فمستقبلنا ومستقبل لغتنا في خير..

الخلاصة :

إن مؤسساتنا التعليمية التي عليها توجيه النشء يجب أن تكون فاعلة ومؤثرة في التوجيه، كما ينبغي عليها أن تطور مناهجها الثقافية الواعية. وهذا ما يجعل العودة إلى ركيزة ثقافية مرجعية في هذا الوقت الحرج من حياتنا ضرورة وفي غاية الأهمية، ومطلباً ملحاً ينبغي أن نصدع به، ولعل هذا المغزى هو ما نحاوله عندما نحاول إحضار قيم الماضي وأخلاقه بلغة عربية معاصرة وأسلوب محدث قريب من إدراك المثقفين، متضمناً حصيلة الماضي، وقيمه وموضحاً تصور العرب للأخلاق الفاضلة ،غير منقطع عن التحديث والمعاصرة التي هي أساس نمو أفكار الناس وناموس الحياة.

إن مستقبل النشء يتطلب من العرب اهتماماً خاصاً باللغة بصفتها وعاء للثقافة لأن البشر كله يواجه تغيراً ثقافياً وقيمياً وعالمياً، ولا شك أن سرعة التغيرالحاد غير المعهود تاريخياً، يهدِّد بنسخ سائر الأطروحات للخصوصية الاجتماعية.

المراجع

الفصحى، ونظرية الفكر العامي:

مرزوق بن صنيتان بن تنباك.

الطبعة 1407هـ - 1988 م.

مطابع الفرزدق، بالرياض.

فلسفة اللغة:

كمال يوسف الحاج.

الطبعة : 1967 م.

دار النهار للنشر، بيروت.

لغتنا والحياة:

عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ.

الطبعة : 1391هـ - 1971 م.

دار المعارف بمصر.

اللغة والحياة والطبيعة البشرية:

روي، سي، هجمان.

ترجمة : داود حلمي أحمد السيد.

الطبعة الأولى 1409 هـ - 1989م.

اللغة والمجتمع، رأي ومنهج:

محمود السعران.

الطبعة الثانية 1963م.

دار المعارف.

اللغة ومشكلات المعرفة :

نعوم تشومسكي.

ترجمة حمزة قبلان المزيني.

الطبعة الأولى – 1990م.

توبقال – الدار البيضاء.

من حاضر اللغة :

سعيد الأفغاني.

الطبعة الثانية 1971 م.

دار الفكر.

الوعي الذاتي

برهان غليون.

الطبعة الثانية 1992م.

المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

جريدة الرياض.

جريدة السياسة الكويتية.

جريدة المدينة المنورة.

جريدة الشرق الأوسط.

مجلة الهلال المصرية.